تفسير إبن كثير

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

يقول تعالى لعبده ورسوله محمد ، صلوات الله وسلامه عليه : (وما أرسلناك إلا كافة للناس) : أي : إلا إلى جميع الخلق من المكلفين ، كقوله تعالى : (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) [الأعراف : 158] ، (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) [الفرقان : 1] . (بشيرا ونذيرا) أي تبشر من أطاعك بالجنة ، وتنذر من عصاك بالنار .(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ، كقوله تعالى : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) [يوسف : 103] ، (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) [الأنعام : 116] .قال محمد بن كعب في قوله : (وما أرسلناك إلا كافة للناس) يعني : إلى الناس عامة .وقال قتادة في هذه الآية : أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم إلى العرب والعجم ، فأكرمهم على الله أطوعهم الله عز وجل .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبد الله الظهراني ، حدثنا حفص بن عمر العدني ، حدثنا الحكم - يعني : ابن أبان - عن عكرمة قال : سمعت ابن عباس يقول : إن الله فضل محمدا صلى الله

عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء . قالوا : يا ابن عباس ، فيم فضله االله على الأنبياء ؟ قال : إن االله قال : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) ، وقال للنبي صلى االله عليه وسلم : (وما أرسلناك إلا كافة للناس) ، فأرسله االله إلى الجن والإنس .وهذا الذي قاله ابن عباس قد ثبت في الصحيحين رفعه عن جابر قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر . وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل . وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي . وأعطيت الشفاعة . وكان النبي يبعث إلى قومه ، وبعثت إلى الناس عامة " .وفي الصحيح أيضا أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " بعثت إلى الأسود والأحمر " : قال مجاهد . يعني : الجن والإنس . وقال غيره : يعني : العرب والعجم . والكل صحيح .